@ 824 @ مثله ، البشر . فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبد ا صلى ا عليه وسلم أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على صحة ما جاء به وصدقه ، أشار صلى ا عليه وسلم إلى القمر ، فانشق بإذن ا ، فلقتين ، فلقة على جبل أبي قبيس ، وفلقة على جبل قعيقعان . والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية العظيمة الكائنة في العالم العلوي ، التي لا يقدر الخلق على التمويه بها والتخييل . فشاهدوا أمرا ما رأوا مثله ، بل ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله نظيره ، فانبهروا لذلك ، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم ، ولم يرد ا بهم خيرا ، ففزعوا إلى بهتهم وطغيانهم ، وقالوا : سحرنا محمد . ولكن علامة ذلك أنكم تسألون من ورد عليكم من السفر ، فإنه إن قدر على سحركم ، لم يقدر أن يسحر من ليس مشاهدا مثلكم ، فسألوا كل من قدم ، فأخبروهم بوقوع ذلك ، فقالوا : ! 2 2 ! ، سحرنا محمد ، وسحر غيرنا . وهذا من البهت الذي لا يروج إلا على أسفه الخلق وأضلهم عن الهدى والعقل ، وهذا ليس إنكارا منهم لهذه الآية وحدها ، بل كل آية تأتيهم ، فإنهم مستعدون لمقابلتها بالتكذيب والرد لها ، ولهذا قال : ! 2 2 ! فليس قصدهم اتباع الحق والهدى ، وإنما مقصودهم اتباع الهوى ، ولهذا قال 2 ! : 2 ! ، كقوله تعالى : ! 2 2 ! . فإنه لو كان قصدهم اتباع الهدى ، لآمنوا قطعا ، واتبعوا محمدا صلى ا عليه وسلم ، لأن ا أراهم على يديه من البينات والبراهين ، والحجج القواطع ، ما دل على جميع المطالب الإلهية ، والمقاصد الشرعية . ! 2 2 ! ، أي : إلى الآن ، لم يبلغ الأمر غايته ومنتهاه ، وسيصير الأمر إلى آخره ، فالمصدق يتقلب في جنات النعيم ، ومغفرة ا ورضوانه ، والمكذب يتقلب في سخط ا وعذابه ، خالدا مخلدا أبدا . وقال تعالى مبينا أنهم ليس لهم قصد صحيح ، واتباع للهدى : ! 2 2 ! ، أي : زاجر يزجرهم عن غيهم وضلالهم ، وذلك ! 2 2 ! منه تعالى ^ (بالغة) ^ ، أي : لتقوم حجته على العالمين ، ولا يبقى لأحد على ا حجة بعد الرسل . ^ (فما تغني النذر) ^ لقوله تعالى : ^ (ولو جاءتهم كل آية لا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) ^ . ^ (فتول عنهم يوم يدعو الداع إلى شيء نكر * خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر) ^ يقول تعالى لرسوله صلى ا عليه وسلم : قد بان أن المكذبين لا حيلة في هداهم ، فلم يبق إلا الإعراض عنهم ، فقال ! 2 2 ! وانتظر بهم يوما عظيما وهولا جسيما . وذلك ! 2 2 ! وهو إسرافيل عليه السلام ^ (إلى شيء نكر) ^ ، أي : إلى أمر فظيع ، تنكره الخليقة ، فلم تر منظرا أفظع ولا أوجع منه ، فينفخ إسرافيل نفخة ، يخرج بها الأموات من قبورهم لموقف القيامة . !

2 2 ! ، أي : من الهول والفزع ، الذي وصل إلى قلوبهم ، فخضعت وذلت ، وخشعت لذلك أبصارهم . ! 2 2 ! ، وهي القبور ، ! 2 2 ! من كثرتهم ، وروجان بعضهم ببعض ! 2، ! 2 أي : مبثوث في الأرض ، متكاثر جدا . ! 2 2 ! ، أي : مسرعين لإجابة نداء الداعي ، وهذا يدل على أن الداعي يدعوهم ويأمرهم بالحضور لموقف القيامة فيلبون دعوته ويسرعون إلى إجابته . ! 2 2 ! الذين قد حضر عذابهم : ! 2 2 ! . ^ (مهطعين إلى الداع يقول الكافرون ه ذا يوم عسر * كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر * فدعا ربه أني مغلوب فانتصر * ففتحنآ أبواب السمآء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونا فالتقى المآء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزآء لمن كان كفر * ولقد تركناها آية فهل من مدكر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ^ لما ذكر تبارك وتعالى حال المكذبين لرسوله ، وأن الآيات لا تنفع فيهم ، ولا تجدي عليهم شيئا ، أنذرهم وخوفهم بعقوبات الأمم الماضية المكذبة للرسل ، وكيف أهلكهم ا ، وأحل بهم عقابه . فذكر قوم نوح ، أول رسول بعثه ا إلى قوم يعبدون الأصنام ، فدعاهم إلى توحيد ا ، وعبادته وحده لا شريك له ، فامتنعوا من ترك الشرك وقالوا : ! 2 2 ! . ولم يزل نوح يدعوهم إلى ا ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، فلم يزدهم ذلك إلا عنادا وطغيانا وقدحا في نبيهم ، ولهذا قال هنا : ! 2 2 ! لزعمهم أن ما هم عليه وآباؤهم من الشرك والضلال هو الذي يدل عليه العقل ، وأن ما جاء به نوح عليه السلام جهل وضلال ، لا يصدر إلا من المجانين . وكذبوا في ذلك ، وقلبوا الحقائق الثابتة شرعا وعقلا ، فإن ما جاء به هو الحق الثابت ، الذي يرشد العقول النيرة المستقيمة ، إلى الهدى والنور ، والرشد ، وما هم عليه جهل وضلال . وقوله : ! 2 2 ! ، أي : زجره قومه وعنفوه لما دعاهم إلى ا تعالى . فلم يكفهم قبحهم ا عدم الإيمان به ، ولا تكذيبهم إياه حتى أوصلوا إليه من أذيتهم ما قدروا عليه ، وهكذا جميع أعداء الرسل ، هذه حالهم مع أنبيائهم . فعند ذلك دعا نوح ربه 2 ! ، 2 ! لا قدرة لي على الانتصار منهم ، لأنه لم يؤمن من قومه إلا القليل النادر ، ولا قدرة لهم على مقاومة قومهم . ! 2 2 ! اللهم لي منهم ، وقال في الآية الأخرى : ! 2 ! 2 الآيات . فأجاب ا سؤاله ، فانتصر له من قومه ، قال تعالى : ! 2 2 ! ، أي : كثير جدا متتابع . ! 2 2 ! فجعلت السماء ينزل منها من الماء شيء خارق للعادة ، وتفجرت الأرض كلها ، حتى التنور الذي لم تجر العادة بوجود الماء فيه ، فضلا عن كونه منبعا للماء ، لأنه موضع النار . ! 2 2 ! ، أي : ماء السماء والأرض ! 2 2 ! من ا له بذلك ، ! 2! 2 ، أي : قد كتبه ا في الأزل وقضاه ، عقوبة لهؤلاء الظالمين الطاغين . ! 2 2 ! ، أي : ونجينا عبدنا نوحا على السفينة ذات الألواح والدسر ، أي : المسامير التي قد سمرت بها ألواحها وشد بها أسرها . ! 2 2 ! ، أي : تجري بنوح ومن آمن معه ، ومن حمله من أصناف

المخلوقات برعاية من ا ، وحفظ منه لها عن الغرق ، ونظر وكلاءة منه تعالى ، وهو نعم الحافظ والوكيل . ! 2 2 ! ، أي : فعلنا بنوح ما فعلنا من النجاة من الغرق العام ، جزاء له حيث كذبه قومه وكفروا ، فصبر على دعوتهم ، واستمر على أمر ا ، فلم يرده عنه راد ، ولا صده عن ذلك صاد ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : ! 2 2 ! الآية . ويحتمل أن المراد : إنا أهلكنا قوم نوح ، وفعلنا بهم ما فعلنا من العذاب والخزي ، جزاء لهم على كفرهم وعنادهم ، وهذا متوجه على قراءة من قرأها بفتح الكاف . ! 2 2 ! أي : ولقد تركنا قصة نوح مع قومه ، آية يتذكر بها المتذكرون ، على أن من عصى الرسل وعاندهم أهلكه ا بعقاب عام شديد ، أو أن الضمير يعود إلى السفينة وجنسها ، وأن أصل صنعتها تعليم من ا لرسوله نوح عليه السلام ، ثم أبقى ا صنعتها وجنسها بين الناس ليدلك ذلك ، على رحمته بخلقه ، وعنايته ، وكمال قدرته ، وبديع صنعته . ! 2 2 ! ؟ أي : فهل من متذكر للآيات ، ملق ذهنه وفكرته لما يأتيه منها ، فإنها في غاية البيان واليسر ؟ ! 2 2 ! ، أي : فكيف رأيت أيها المخاطب عذاب ا الأليم وإنذاره الذي لا يبقي لأحد عليه حجة . ! 2 2 ! ، أي : ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم ، ألفاظه للحفظ والأداء ، ومعانيه للفهم والعلم ، لأنه أحسن الكلام لفظا ، وأصدقه معنى ، وأبينه تفسيرا ، فكل من أقبل عليه يسر ا عليه مطلوبه غاية التيسير ، وسهله عليه ، والذكر شامل لكل ما يتذكر به العاملون من الحلال والحرام ، وأحكام الأمر والنهي ، وأحكام الجزاء والمواعظ والعبر ، والعقائد النافعة والأخبار الصادقة . ولهذا كان علم القرآن حفظا وتفسيرا ، أسهل العلوم ، وأجلها على الإطلاق ، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد ، أعين عليه ، وقال بعض السلف عند هذا الآية : هل من طالب علم فيعان عليه ؟ ولهذا يدعو ا عباده إلى الإقبال عليه والتذكر بقوله : ! 22 ! . ! 2 2 ! (وعاد) هي القبيلة المعروفة باليمن ، أرسل ا إليهم هودا عليه السلام يدعوهم إلى توحيد ا وعبادته ، فكذبوه ، فأرسل ا عليه ! 2 2 ! ، أي : شديدة جدا . ! 2 2 ! ، أي : شديد العذاب والشقاء عليهم ، ! 2 2 ! عليهم سبع ليال ، وثمانية أيام حسوما . ! 2 2 ! من شدتها ، فترفعهم إلى جو السماء ، ثم تدفعهم بالأرض فتهلكهم ، فيصبحون ! 2 2 ! ، أي : كأن جثثهم بعد هلاكهم ، مثل جذوع النخل الخاوي الذي اقتلعته الريح فسقط على الأرض ، فما أهون الخلق على ا إذا عصوا أمره ! 2 2 ! ، كان وا العذاب الأليم ، والنذارة التي ما أبقت لأحد عليه حجة . ! 2 2 ! كرر تعالى ذلك ، رحمة بعباده ، وعناية بهم ، حيث دعاهم إلى ما يصلح دنياهم وأخراهم . ^ (كذبت ثمود بالنذر * فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنآ إذا لفي ضلال وسعر * أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غدا من الكذاب الأشر * إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر * ونبئهم أن المآء قسمة بينهم كل شرب محتضر * فنادوا صاحبهم فتعاطى

فعقر * فكيف كان عذابي ونذر * إنآ أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ^ ! 2 2 ! وهم القبيلة المعروفة المشهورة في أرض الحجر ، نبيهم صالحا صلى ا عليه وسلم ، حين دعاهم إلى عبادة ا وحده لا شريك له ، وأنذرهم العقاب ، إن هم خالفوه . فكذبوه واستكبروا عليه ، وقالوا كبرا وتيها : ! 2 2 ! ، أي : كيف نتبع بشرا ، لا ملكا ، منا ، لا من غيرنا ، ممن هو أكبر عند الناس منا . ومع ذلك فهو شخص واحد ! 2 2 ! ، أي : إن اتبعناه وهو في هذه الحالة ، ! 2 2 ! ، أي : لضالون أشقياء . وهذا الكلام من ضلالهم وشقائهم ، فإنهم أنفوا أن يتبعوا رسولا من البشر ، ولم يأنفوا أن يكونوا عابدين للشجر ، والحجر ، والصور . ^ (أءلقي الذكر عليه من بيننا) ^ ، أي : كيف يخصه ا من بيننا وينزل عليه الذكر ؟ فأي مزية خصه من بيننا ؟ وهذا اعتراض من المكذبين على ا ، لم يزالوا يدلون به ، ويصولون ويردون به دعوة الرسل ، وقد أجاب ا عن هذه الشبهة بقول الرسل لأممهم : ^ (قالت رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ، ولكن ا يمن على من يشاء من عباده) ^ . فالرسل من ا عليهم بصفات وأخلاق وكمالات ، بها صلحوا لرسالات ربهم ، والاختصاص بوحيه . ومن رحمته وحكمته أن كانوا من البشر ، فلو كانوا من الملائكة ، لم يمكن البشر ، فلو كانوا من الملائكة ، لم يمكن البشر أن يتلقوا عنهم ، ولو جعلهم من الملائكة لعاجل المكذبين لهم بالعقاب العاجل . والمقصود من هذا الكلام الصادر من ثمود لنبيهم صالح ، تكذيبه ، ولهذا حكموا عليه بهذا الحكم الجائر ، فقالوا : ! 22 ! ، أي : كثير الكذب والشر . فقبحهم ا ما أسفه أحلامهم وأظلمهم ، وأشدهم مقابلة للصادقين الناصحين بالخطاب الشنيع ، لا جرم عاقبهم ا حين اشتد طغيانهم . فأرسل ا الناقة التي هي من أكبر النعم عليهم ، آية من آيات ا ، ونعمة يحلبون من درها ، ما يكفيهم أجمعين . ! 2 2 ! ، أي : اختبارا منه لهم وامتحانا . ! 2 2 ! ، أي : اصبر على دعوتك إياهم ، وارتقب ما يحل بهم ، أو ارتقب هل يؤمنون أو يكفرون ؟ ! 2 2 ! ، أي : وأخبرهم أن الماء ، أي : موردهم الذي يستعذبونه ، قسمة بينهم وبين الناقة ، لها شرب يوم ، ولهم شرب يوم آخر معلوم . ! 2 2 ! ، أي : يحضره من كان قسمته ، ويحظر على من ليس بقسمة له . ! 2 2 ! الذي باشر عقرها ، الذي هو أشقى القبيلة ! 2 2 ! ، أي : انقاد لما أمروه به من عقرها ! 22 ! . ! 2 2 ! كان أشد عذاب ، أرسل ا عليهم صيحة ورجفة ، أهلكتهم عن آخرهم ، ونجى ا صالحا ومن آمن معه . ! 2 2 ! في اليوم الرابع من عقرها ! 2 2 ! صاح بها جبريل عليه السلام ! 2 2 ! ، أي : فصاروا ! 2 2 ! ، والهشيم : الشجر اليابس المتهشم المتكسر ، أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء ، أي : كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها . والمعنى الإجمالي : (إنا سلطنا عليهم صيحة واحدة ، فصاروا بها كشجر يابس يجمعه من يريد اتخاذ حظيرة لبهائمه) ! 22

2 ! . ! 2 ! أي : ! 2 2 ! لوطا عليه السلام ، حين دعاهم إلى عبادة ا وحده لا شريك له ، ونهاهم عن الشرك والفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين . فكذبوه واستمروا على شركهم وقبائحهم ، حتى إن الملائكة الذين جاءوه بصروة أضياف حين سمع بهم قومه ، جاءوا مسرعين ، يريدون إيقاع الفاحشة فيهم ، لعنهم ا وقبحهم ، وراودوه عنهم . فأمر ا جبريل عليه السلام ، فطمس عيونهم ، وأنذرهم نبيهم بطشة ا وعقوبته ! 22 ! . ! 2 2 ! قلب ا عليهم ديارهم ، وجعل أسفلها أعلاها ، وتتبعهم بحجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك للمسرفين . ونجى ا لوطا وأهله من الكرب العظيم ، جزاء لهم على شكرهم لربهم ، وعبادته وحده لا شريك له ، قال تعالى : ! 2، ! 2